دليلك

الطالبة الجامعية المسلمة

د.ليلى حمدان

دليل الطالبة الجامعية المسلمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن توجيه الخطاب للطالبات الجامعيات في هذا الوقت الحرج من حياة الأمة، يُعد ضرورة ملحة، تزداد إلحاحًا مع كل يوم نشاهد فيه أبواق التشويش والفتن تكاد تصرف المسلمة عن أعظم مهامها في هذه الدنيا، ألا وهي عبادة الله سبحانه جلّ في علاه، قال تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) فكل ما يدور في فلكك اليوم أيتها الطالبة إنما هو الامتحان في هذه الدنيا، لينظر الله سبحانه وتعالى درجة إقبالك وصدقك وتفانيك في سبيله.

فقه الواقع

بداية علينا أن نفقه تفاصيل الواقع الذي تعيشين فيه كي نبصر معالم الحق برؤية واضحة لا لبس فيها ولا اضطراب.

إنك أيتها المسلمة قد وجدت نفسك في عالم تشغله صراعات الحق مع الباطل، يعيش فيه المسلمون في استضعاف وفرقة وشتات، مع أنهم سادوا الأمم بوحدة مبهرة لأكثر من 14 قرنًا، وحملوا مشعل الريادة في مواطن وميادين كثيرة في هذا العالم. تعيشين تحت وطأة سلطة الثقافة الغالبة تتجاذبك التيارات العديدة والأفكار المختلفة.

وإن حالة الضعف هذه والتشتت والعبث، كانت نتيجة منطقية لحدثين مهمين وقعت في شباكهما الأمة المسلمة:

أما الأول فهو تشتت شمل المسلمين وسقوط آخر شكل للخلافة وانتهاء مرحلة اجتماع الأمة تحت سقف دولة عظيمة تدير مصالحهم وترد العدو الصائل وتسهر على نهضتهم.

أما الثاني فهو وباء التغريب الذي تسلل منذ عقود بشكل بطيء ولكنه أكيد المفعول.

وليس التغريب مجرد حالة عابرة بل هو مشروع قائم بأركانه ووسائله وأساليبه وأهدافه القريبة والبعيدة، قد جعل المرأة على سلم أولوياته ووضع الخطط ورسم الخرائط، ونصب المدافع ليهدم أساس هذه الأمة، إنه المرأة.

يقول أبو فهر محمود شاكر – رحمه الله – :"المرأة... هي مُربية العالم من المهْدِ إلى اللحْدِ، وهي المدرسة التي يتخرج عليها عظماء الرجال".

فإن هدمت هذه المرأة ومسخت وتحولت لنسخة غربية مفبركة، اقتلعت من جذورها ومن تربتها، فلن تقوم بوظيفتها في الأمة المسلمة ولم يعد هناك أمل في تربية ولا في صناعة العظمة.

إلى هنا قد أدركنا أن سبب ضعفنا يعود بداية لهزيمتنا العسكرية التي انهارت بانهيار آخر شكل للخلافة التي تجمع المسلمين تحت سقف دولة قوية واحدة، بعد أن كانت مضرب الأمثال بين الأمم، ثم لهزيمتنا الفكرية التي تؤدي لتحطيم مقومات هذه الأمة في النهوض وتحبط آمالها في الصعود، ووفق سياسة "فرق تسد" تم الاستفراد بكل بلاد مسلمة وأقلية مضطهدة، فكان مشهد تداعٍ للأمم علينا من

كل حدب وصوب وفي كل ميدان وحقل، وذلك تمامًا كما وصف النبي ﷺ بوصف دقيق شامل حين قال ﷺ: ‘‘يُوشكُ أن تداعى عليكم الأمم، من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها. قال الراوي: قلنا: يا رسول الله، أمن قلّة بنا يومئذ؟ قال ﷺ: أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غُثاءً كغُثاء السيل، ينتَزِع المهابة من قلوب عدُوّكم، ويجعل في قلوبكم الوهن. قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: حبّ الحياة، وكراهية الموت’’.

ولا أخال أن هناك في مجتمعاتنا طالبة جامعية لم تعاين هذه الحقيقة ولم تبصر هذا الضعف وهذا الغزو العسكري والفكري على العالم الإسلامي، والذي انعكست تداعياته على كل منظومة الحياة، بتبعية نكدة للغرب وانهزامية أنكد لهيمنتهم التي اتخذت جميع الحيل وأشكال المكر، مكر كبار يحاول أن يحرمنا العودة إلى مرتبة تليق بخير أمة أخرجت للناس.

تحديد اتجاه البوصلة

بعد أن فقهنا واقعنا، وشخّصنا حالة ضعفنا، واتفقنا على أن المرأة جزء لا يتجزأ من هذا المشهد، ننتقل لتحديد اتجاه البوصلة لرحلتنا في هذه الحياة الدنيا، فأي اتجاه تتجه إليه الطالبة المسلمة التي نشأت وهي تشاهد بنفسها حجم الألم الذي أحاط بأمتها والعدوان الذي ينال منها في كل مكان وربما تأذت بشكل مباشر منه، وفقدت أحبتها وأقاربها في صراع لم يكن مطلب المسلمين فيه إلا حقًا وعدلًا.

فأما تحديد اتجاه البوصلة، فاسمعيها مني أخية، إنه اتجاه واحد لا يشغلك عنه اتجاه، إنه مرضاة الله سبحانه وتعالى ونيل قبوله والوصول إلى جنته، فلا هدف

يستحق العناء في هذه الدنيا الفانية إلا هذا الهدف، وكل العقبات تهون في سبيل تحقيقه وكل التضحيات تجوز فداءً له بلا منازع وفي ذلك فليتسابق المتسابقون.

لذلك فالمرأة اللبيبة تسخّر كل ما وهبها الله من أسباب ومهارات وفضل، وكل نجاح دنيوي وإنجاز وعلاقة في سبيل الوصول لجنة الخلد، يحدوها في ذلك كتاب يهدي وسيرة تلهم، القرآن وسيرة رسول الله ﷺ.

وترجمة ذلك تكون بأن يراك الله سبحانه فيما يحب من عمل وقول، ولا يراك فيما يكره من عمل وقول. وفي واقعنا اليوم بينما تحاول رحى التغريب أن تزحزحك من موقعك باتجاه الهاوية.. مهمتك الأولى هي الثبات على الإيمان والتوحيد، على الإسلام والإحسان، وعلى ثغرك في الأسرة والمجتمع وقدوتك في ذلك أمهات المؤمنين والصحابيات والتابعيات رضي الله عنهن.

المحطة الحاسمة لكل طالبة

نأتي الآن للحديث عن نقطة مفصلية في طرحنا تختص بحال الطالبة الجامعية تحديدًا، وهي حال تدفع الأسى والشجن في القلب، لأسباب كثيرة، في مقدمتها أن ما نشاهده في الجامعات اليوم مفزع بحق، فمشهد الطالبة الجامعية لا يعكس مشهد الوعي والعلم والرقي، بل يعكس للأسف انهزامية وخواء إلا من رحم ربي، تتسابق فيه الطالبات المسلمات على التشبه بطالبات الغرب، في الملبس والمظهر والسلوك وحتى التعاملات ونطق اللسان وكأن الطالبة المسلمة معدومة الهوية بلا أصل ولا ميراث، وكأنها لم تعرف عزة ولا شرفًا جليلًا لطلما ميّزها عن بقية نساء العالم، وأي عز وشرف يناجز عز الإيمان وشرف اتباع نبي الله ﷺ.

فالطالبة التي وصلت بها سفينة الحياة لهذه المحطة، عليها أن تبدأ بخطوة جادة مستعجلة لا تقبل التسويف، وتنظر في واقعها التي تعيشه بعين البصيرة والحكمة.

والخطوة الجادة هذه هي تحديد مدى ملاءمة المقام لطلب العلم، دنيويًا كان أو شرعيًا، فإن رأيت المقام مقام فتنة يضيع معها دينك وحياؤك وخلقك، فودعيه غير مأسوفٍ عليه ومن ترك شيئًا لله عوضه خيرًا منه ويمكنك مواصلة الدراسة في اختصاصات نافعة بطرق أخرى، وإن وجدت حضورك في الجامعة لا يؤثر على حفظك لحدود الله وتقواه، فأقبلي ولكن يقظة.

وإني أدرك أن الكثير من طالبات الجامعات غير مخيّرات، وأغلبهن تدفعهن الحاجة لتحصيل شهادة جامعية في مجتمعات تفتقد للمنظومة الإسلامية القوية التي تصون الحقوق وتدفع البلاء، نفتقدها على كل المستويات فكان لذلك التداعيات الجمّة.

وليكن هديك "اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن".

امتحان الدراسة الجامعية

إن مرحلة الدراسة الجامعية مرحلة امتحان جاد بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، لأنها مرحلة إن لم تعتن فيها بقلبك وجوارحك وهمتك وأهدافك فقد تكون نتائجها كارثية على مستقبلك، وقد تنتهي منها بخسائر تستمر تداعياتها لعقود. كما أنها في الجهة المقابلة، مرحلة بناء الذات وصناعة الهمة، إن أحسنت استثمارها خرجت قدوة فعالة ملهمة.

وعليك أن تدركي أيتها الطالبة بادئ الأمر أن مرحلة الجامعة مرحلة وقتية محددة، رؤيتك فيها للمستقبل قد تكون قاصرة وخياراتك خلالها قد تكون خاطئة،

فتفكيرك سيتغير كثيرًا بعد التخرج وتحصيل خبرات في الحياة، ستنظرين لنفسك بعد سنوات كم كنت فتاة ساذجة، تجهل الكثير عما ينتظرها، لذلك لا تحاولي أن تفرضي اليوم رؤاك ببضاعتك المزجاة في الحياة فقط لأنك طالبة جامعية، وأحسني الإنصات لمن تمرّس مثالب الحياة وإياك وإهمال المشورة والنصيحة، فقد جعل الله منها نظام حكم في الإسلام على مستوى سياسة الدول فأحرى بنا أن نستند إليها على مستوى النفس والأسرة والمجتمع ومشاريع الحياة. ولا يعني ذلك أن تثقي في كل ناصح مهما تذاكى، وتذكري "المؤمنون نصحة والمنافقون غششة" فلا تستفتي في أمر دينك ودنياك إلا من كان سمته التقوى وخشية الله.

دليل الرحلة

ثم إن لكل رحلة دليل، فاجعلي دليلك الإسلام، فهو الدليل الأوفى، التزميه التزامًا لا يقبل التطفيف ولا التحايل، حتى تفوزي ببركاته كلها وتسعدي بعطاءاته المبهرة، فإن هذا الدين بقدر ما تلتزمين به وتقدمين له بقدر ما يرفعك الله به وينصرك، وبقدر ما تتعمقين فيه بقدر ما تذهلك أسراره وعجائبه التي لا تنقضي.

قال ابن القيم –رحمه الله –في إغاثة اللهفان :"والدفع عن العبد هو بحسب إيمانه (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا۟) والكفاية والحسب هي بقدر الإيمان (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)".

كما عليك أن تعلمي أن جميع علوم الدنيا تأتي تحت مرتبة العلم الرئيسي الذي لا يناجزه علم، إنه علم المعرفة بالله سبحانه وتعالى والمعرفة بدينك وفرائضك. فهذا أول علم عليك أن تحوزيه مهما كانت دراستك في اختصاصات دنيوية مهمة.

قال الله تعالى (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) وقال سبحانه (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ).

وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ يُرِد اللَّه بِهِ خيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ » متفقٌ عليه.

لذلك عليك أن تحرصي على تحصيل نصاب العلم الشرعي على قدر الاستطاعة بما يسمح لك أن تعبدي الله حق عبادته، بأولوية تفوق أولوية العلم الدنيوي الذي ترابطين عليه.

فالعلم الديني فرض عين والعلم الدنيوي فرض كفاية، ولا يعني هذا أن المطلوب منك أن تصبحي فقيهة عصرك وإن كان مطلبًا عزيزًا، ولكن يعني تحصيل نصاب العلم الشرعي الذي لا يجب أن تجهله المسلمة عن دينها فتعبد ربها على بصيرة.

حديث النية

وعلي أن أنبهك لنقطة قلما تنتبه لها الطالبات ألا وهي نيتك من دراستك الجامعية، قال رسول الله ﷺ (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) عليك أن تجعلي نيتك صالحة، لا تتخللها نية فساد أو هوى نفس، وإن العاقلة الحكيمة هي التي تحسن استثمار حديث النية، فتنوي بالعمل الواحد عشرات الأعمال الصالحة، تروم بذلك تجارة لن تبور، فتأملي معي حين يتحول كل سعي لك لله، كيف يجب أن يكون وكيف ستكون ثمراته.

فكرك أنت لا المستورد

إن ما عليك ضبطه في حياتك الجامعية، فكرك ومصادر بنائه وتطويره، فلا يمكن أن تستوردي فكر غيرك ثم تمضي به في لجلجة واضطراب على أرض غير أرضه، بل عليك أن تبني على أسس وأصول سليمة توائمك كمسلمة وتليق بك كمؤمنة. فأنت المسؤولة عن بناء رصيد فكري لك في هذه الحياة، لابد أن ينطلق من تدبر كتاب الله وأحاديث نبيه ﷺ ثم لديك مكتبة إسلامية تزدحم بميراث من سبق وعطاءات من لحق يقتبس جميعهم أنوار الحكمة والبصيرة من معين الإسلام الذي لا ينضب.

لذلك من المهم أن تحسني اختيار مصادر العلم التي تنهلين منها وأن تترفعي عن كل فكر يهدمك من الداخل، ثم يحولك لمنهزمة ترى في غيرها العظمة وتستصغر ما عندها على جلال شأنه.

قال الرسول ﷺ :" إِنَّمَا العِلمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الحِلمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَن يَتَحَرَّ الخَيرَ يُعطَهُ، وَمَن يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ". رَوَاهُ الدَّارَقَطنِيُّ وَحَسَنَّهُ الأَلبَانِيُّ.

واقع الجامعات

إنه ليؤسفني أن أصارحك أخية أن أغلب طلبة الجامعات في بلادنا المسلمة يرتادونها لأجل تحصيل علامات تؤهلهم للسنة المقبلة ثم لتحصيل شهادة يرفعون بها عتب الجهل ثم تكون وسيلتهم لكسب الرزق ونيل الاحترام بين الناس، لذلك

فإن الكثير من طلبة الجامعة لا يتقنون العلوم التي تعلموها لأن دراستهم لها لم تكن لشغف بل لحاجة قاصرة.

ولذلك أسباب كثيرة فرضها افتقادنا لمنظومة إسلامية شاملة متكاملة تصنع النشء على ترياق العلم والعمل وأهمية الإخلاص والصدق وعلى منهج الإتقان كما كان دأب السلف الصالح، فكان لابد من ثمن لهذا الفقد لكن، لا يعني ذلك إعذارك، بل وجب تنبيهك، إلى أن الدراسة يجب أن تكون لأجل تحصيل العلم بحد ذاته لا الشهادة وكفى، لابد من السعي لجودة التحصيل لا شكل التحصيل، عليك أن تدخلي فصل الجامعة بكامل تركيزك، للخروج بالفائدة، لا انتظار نهاية الحصة للتخلص من المادة النكدة. نحن بحاجة لكفاءات حقيقية لا مغشوشة.

نعم يتفاوت الناس في أفهامهم ودرجات استمتاعهم بالدراسة لكن لا تكوني مجرد متلقي أصم، بل استفيدي من وقتك -الذي نيتك فيه في سبيل خالقك- ليكون انعكاسًا لجديتك وصدق طلبك.

ثم ما استعصى عليك فلديك أسباب متوفرة للبحث والوصول إلى المعلومة الأدق والأكثر وضوحًا.

وإني أشدد على هذه النقطة كثيرًا، ألا وهي تنمية حسّ البحث لدى الطالبة المسلمة، وتعويد نفسها السعي وراء المعلومة وحفظها، لأن منهج البحث أفضل وسيلة لتصحيح المعلومات الخاطئة وتبني المعلومات السليمة وتمييز الغث من السمين وتطوير رؤية نقدية لما يعرض لنا، واكتساب ملكات الفهم وقواعد الجرح والتعديل.

وتـذكري قـول البشـير الإبراهيمـي رحمـه الله: إنَّ الْمَـرْأَةَ الْمُسْـلِمَةَ يَجِـبُ أَنْ تَـتَعَلَّمَ، وَيَجِـبُ أَنْ تَتهَـذَّبَ، لَكِـنْ بِشَـرْطِ أَنْ يَكُـونَ ذَلِـكَ فِي دَائِـرَةِ دِينِهَـا وبِأخـلاَقِ دِينِهَـا، فَإِذَا جَهِلْت الْمَرْأَة أَتْعَبْت الزَّوْج،وَأُفْسِدَت الْأَوْلَاد، وَأَهْلكتْ".

مظهرك يعكس تقواك

لا يـزال الحكـم علـى النـاس وفـق مظهـرهم المـنهج السـائد في هـذه الأرض، وقـد جعـل الله للمـرأة المسـلمة الحجـاب فريضـة لا خـلاف في ثبوتهـا، فتلـك سـورة النـور تنسـاب آياتهـا في أعمـاق قلبـك لتـنعكس علـى مظهـرك الخـارجي، بهيبـة المؤمنـة الـتي تـدرك قيمـة المـرأة الحقيقيـة وتأبى لنفسـها أن تكـون مجـرد سـلعة رخيصـة للعـرض علـى أعتـاب الطرقـات تقـع عليهـا عـين القبـيح والفاسـد، قـال تعـالى (سُـورَةٌ أَنزَلْنَاهَـا وَفَرَضْـنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

يقـول الشـيخ عبـدالعزيز الطريفـي فـرج الله عنـه في كتابـه الحجـاب في الشـرع والفطـرة:"ومَن أنكَـرَ شـريعةَ لبـاسِ المـرأةِ وحجابِهـا، وقـال: إنَّ لباسَـها عـادةٌ تُبْـدِي مـا تشـاءُ وتسـتُرُ مـا تشـاءُ، فهـو مُنكِـرٌ لقطعـيٍّ معلـومٍ مِـن الـدينِ بالضـرورةِ؛ كمنكِـرِ الصلاةِ، والزكاةِ، والحَجِّ".

وإن ظهـورك ملتزمـة بالحجـاب الشـرعي، هـو صـيانة لـك وهيبـة يلقيهـا الله في قلـوب مـن حولـك، قـال تعـالى (ذَلِـكَ أَدْنَى أَنْ يُعْـرَفْنَ فَـلا يُـؤْذَيْنَ). ولـذلك كانـت دعـوى الشـيطان منـذ خلـق آدم عليـه السـلام نـزع الثيـاب لأنهـا أقصـر طريـق لكسـر حـاجز الهيبـة والاحـترام وفـتح طريـق للفحـش والضـلال فـإياك والتسـاهل مـع لباسـك الشرعي.

التعاملات التقية

لا يكفي مظهرك في تحديد رجاحة عقلك ووقارك بل لابد أن يقترن المظهر التقيّ بالسلوك التقيّ، فلا يمكن أن تلتزم الفتاة الجامعية الحجاب الشرعي ثم تصافح هذا الطالب وتجلس بجانب ذلك الطالب، وتنفتح لجمع الطلاب أولئك بما يضعها في مقام شبهة واتهام لا يليق بها.

وأول هذا الأمر الحذر من الاختلاط والخلوة، لحقيقتين لا تنفكان تدفعان الكثير من الناس للإسلام، مع العلم أن أكثر المعتنقين للإسلام من النساء.

أما الأولى فلأنه أطهر لك وأتقى وبذلك أوصى الإسلام، وأما الثانية فلأنك في فترة من العمر يسهل معها التعلق مع كل عاطفة وإحساس، وإن لذلك تكلفة باهظة بل تكاليف، يجب ألا تغيب عن ذهنك، فإن لك نفسًا مؤمنة لا تلوثيها فتطمع في من لا يُرتجى صلاحه أو من يستغل مشاعرك واحفظيها لمن يستحقها شرعًا وأمانةً.

يقول الشيخ مُحَمَّد الخضر حسين رحمه الله عن الاختلاط:"وأرتنا المشاهدُ رأيَ العين أنه أقربُ الوسائل إلى تلويث الأعراض، ونكدِ العيش، وهو إلى ابتذال المرأة أقربُ منه إلى كرامتها، وإلى عنائها أقربُ منه إلى راحة بالها".

ولا تصدقي أن هناك شيئًا يسمى صداقات بين الرجل والمرأة فإنما هي كذبة العصر يتحايل بها الدهاة لاستغلال الساذجات، وتمضية الأوقات هدرًا والاطلاع على الخفايا فضولًا، ودليل ذلك سجل ثقيل من تجارب ضحايا هذه العلاقات، بين معذبة تعلقت بصديق لم يتزوجها، وبين متخذات أخدان وفساد يصعب حصره في هذا المقام.

وكلما زيّن لك الشيطان صورة الاختلاط تذكري أن الشبهات أول طريق الانتكاس، وليس لديك وقت تضيعه في ذلك. فالحزم أول الأمر نجاة في نهايته، ومن صانت نفسها من مستنقعات الشبهات حفظتها وارتقت. قال رسول الله ﷺ :"إن الحلال بيّن والحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وأن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه، إلا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب " رواه البخاري ومسلم.

رفقة الطريق

إن الكثير من الخسائر في حياة الطالبة الجامعية تبدأ من صحبة مشؤومة تزين لها الباطل وتشغلها عن الحق، صحبة تتحول ذكراها لندم وأسف، لذلك فإليك هذه القاعدة المنصفة في العلاقات، قال تعالى (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) فهذه الآية العظيمة تلخص لك مقاييس الصديقات، فكل "صديقة" تحرفك عن طريق الله، اتركيها بعدل لا جور فيه. وكل حب لا يقربك من الله بل يبعدك، تركه واجب وبحزم.

ثم على العاقلة ألا ترمي كل ثقلها في علاقة مع صديقة حتى تختبر تقواها مع الزمن، ذلك أن الكثير من الأحكام المسبقة تتغير جذريًا مع أول امتحان صدق. ولا تفوتك قاعدة (هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إِلا الإحْسَانُ).

وأفضل الصداقات صداقة على عبادة أو علم نافع أو محبة في الله.

مخاطر تهدد أنوثتك

إن رأس مال كل امرأة أنوثتها التي حباها الله لتقوم بدورها في الحياة وفق هذا الأصل الذي لا ينبغي أن يشوّه أو يستغل أو يكسر. ذلك أن أي نقص فيه هو نقص في نفسها، وأي خسارة فيه هو خسارة لنفسها.

وللأسف أضحت هذه الأنوثة في مرمى أهداف الإعلام، يسعى لتحويلها لسلعة تباع وتشترى بل قلب المفاهيم وجعل هذه الأنوثة هي الاسترجال بعينه، وخروج المرأة تزاحم الرجل كتفًا بكتف، وصنع فكرة الندّية، والنسوية، والمساواة، وجميعها من مخلفات التغريب.

قال تعالى (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) فلا تقتحم الفتاة التقية حلبات الجدال ولا ترفع الصوت وتفرض الرأي فإن في ذلك خدش لحيائها وإسقاط لهيبتها وتشويه لأنوثتها. فإن استدعى الأمر إنكار منكر فلتنكره بالتي هي أحسن. وإن كان مقام نصح فللنصح أدواته ووسائله وإن كان لمجرد الظهور، فما عند الله خير وأبقى.

ذلك أن الكثير من حلبات الجدال تنتهي بقسوة القلب ورفع الكلفة وتمادي اللسان. والطالبة أحوج ما يكون لحفظ نفسها مما يكدّر صفوها لأفضل تحصيل وبناء للذات.

ومما يسلبك شرف أنوثتك الانخراط في دعوات التظلم من الرجال على طراز النسوية، والتي اتخذت مزاعم كثيرة أغلبها يطعن في دين الإسلام، بينما أكبر

مشاكلها لا تتعدى تصرفات فردية من أشخاص خالفوا هدي الإسلام فاحتالت به واتخذته ذريعة من أرادت حياة الانحلال.

وإن مسألة حقوق المرأة والتفاوض بشأنها مسألة مهترئة من كثرة ما خاض فيها الناس، أنصحك ألا تدخلي مستنقع جدالاتها فستجدين في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ما يغنيك عن كل هذا التشويش، واسألي الله من فضله فإن علاقتك مع الله هي رأس المال الذي لا يقبل المساومة، وما أمر الله به ورسوله ﷺ يستوجب الطاعة والاتباع وما نهى عنه فالانتهاء. ولا طاعة لمخلوق في معصية الله. قال تعالى (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا).

يقول الأديب الفقيه والفقيه الأديب علي الطنطاوي رحمه الله في قصص من الحياة:"لا تزال المرأة غالبة ما حاربت بالأنوثة، فإن زهدت فيها وحاولت أن تجاري الرجل في ميدانه وتسابقة في حلبته وتقاتله بسلاحه اصطكّت ركبتاها وكلّت قدماها وعجزت يداها، وسقطت ".

وإنما تمام جمالك وروعتك وسعادتك بكمال أنوثتك وخلقك واستقامتك، فلا تلطخيها بدعوات الاسترجال، التي تحرمك أروع الفضائل التي حباها الله المرأة لتعيش ابنة وأختًا وزوجة وأمًّا وخالة وعمّة وجدة وقريبة فضلى وصديقة تُرجى.

زواج الطالبة الجامعية

قال رسول الله ﷺ :"إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير " رواه الترمذي وغيره. فاعلمي أخية أن الزواج حصن لك، فيه الكثير من الجمال والسعادة والسكن مع رفيق الدرب، فإن تقدم لك صاحب الدين والخلق فلا تحرمك دراستك الجامعية فضل الزواج، وإني أنصح الطالبات بالزواج لكي لا تقع الفتنة والفساد، ولأنه مدعاة للاستقرار والسكن والعفة وأفضل العطاء، ولأنه قبل ذلك سنة الله في خلقه لا تقبل التأخير. فمن ابتليت بالحرمان من الزواج فلتصبر ولتسد ثغرها امرأة مؤمنة صالحة عابدة تقية ترجو ما عند ربها حتى تلقى زوجها في دار الخلود.

وتأملي قول الرافعي:" ولكن الأسرة لا تقوم على سواد عيني المرأة وحمرة خديها، بل على أخلاقها وطباعها"، فإن أساس الأسرة أخلاقك وطباعك، فأصلحي منها بلا كلل ولا ملل فقد قال رسول الله ﷺ:" إِنَّ مِن خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا".

ومن جميل ما خطه محمود شاكر في مجموع مقالاته من معاني جميلة في شأن المرأة:" وهي صاحبة الفضائل كلها إذا أُثيرت أمومتها وإحساسها بالمحافظة على النوع الإنساني، وأما بغير ذلك، فهي المرأة بضعفها وأنوثتها وحاجتها إلى عون الرجل وتضحيته ورحمته. وليس للمرأة عمل إلا أن تعمل دائمًا على أن تجعل الرجل في عينيها تمام إنسانيتها، وبذلك تستصلح منه ما عسى أن يكون فاسدًا، وتتم ما وقع إليها ناقصًا، ويبنى البيت –بَيتهما– على أساس من القوة الداعية للبقاء، فمن الرجل الرحمة والإخلاص، ومن المرأة الاحترام والعفاف، ومنهما النسل الجميل المحفوف بالفضيلة من جميع نواحيه".

وهـذه الأسـرة هـي اللبنـة الأساسـية في المجتمـع الإسـلامي وفي الأمـة المسـلمة، لا تفسدن بسببك فتكون العواقب وخيمة ومكلفة.

وأختم رسالتي إليك أيتها الطالبة الجامعية ببعض الهمسات لعلها تنفع:

- لابـد أن يحتـل القـرآن أول اهتماماتـك، وليتـك تجعلـين لنفسـك نصـيبًا مـن حفـظ كتـاب الله بالمـوازاة مـع تـدبره وتفسـيره فقـد كـان شـغل السـلف الصـالح تـدارس كتـاب الله. قـال تعـالى (إِنَّ هَـذَا الْقُـرْآنَ يِهْـدِي لِلَّـتِي هِـيَ أَقْـوَمُ وَيُبَشِّـرُ الْمُـؤْمِنِينَ الَّـذِينَ يَعْمَلُـونَ الصَّـالِحَاتِ أَنَّ لَهُـمْ أَجْـرًا كَبِـيرًا)، وقـال سـبحانه (وَيَـرَى الَّـذِينَ أُوتُـوا الْعِلْـمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ).
- إن في تسـجيل الفوائـد منـافع جمـة، وقـد قيـل: العلـم صـيد والكتابـة قيـد، فاجعلهـا وسيلة لإثراء كناشة فوائدك وتوسيع مداركك.

واعلم بأن العلم أرفع راية وأجل مكتسب وأسنى مفخرِ

فاسلك سبيل المقتنين له تسد إن السيادة تقتنى بالدفترِ

والعالم المدعو حبراً أنما سماه باسم الحبر حمل المحبرِ

تسمو إلى ذي العلم أبصار الورى وتغض عن ذي الجهل لا بل تزدري

- قـال ابـن المنكـدر:"العلم يهتـف بالعمـل فـإن أجابـه وإلا ارتحـل"، فلابـد أن يـنعكس تفانيـك في العلـم تفانيًـا في العمـل، مـن عبـادات وذكـر وصـدقات وحسـن خلـق وكـفّ عـن الأذى والابتعـاد عـن الغيبـة والنميمـة والانشـغال بالمسـابقة بالخـيرات، ومـن تأمـل

سير نساء السلف الصالح يجد في كل سيرة مدرسة عطاء عظيمة، وما هذه الدار إلا دار عمل قال تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

- اعملي على تحصيل مهارات علمية خلال دراستك الجامعية، في غير اختصاصك، ذلك أن التنوع يطرد عنك الملل والخمول وقد يعينك في عمل دعوي أو مشروع ينفع أسرتك وأمتك، خاصة في أيام العطل،كما لا تترددي في طرق أبواب الخير المختلفة والعبادات المتنوعة لتثري رصيد حسناتك.

- إن أصابك ظلم أو نال منك جور فاعلمي أن الابتلاء لابد منه في طريق المؤمنة، وإياك واليأس والقنوط يقول الشيخ عبد العزيز الطريفي فرج الله عنه:"ظلم المرأة عند الله أشد من ظلم الرجل، لأن انتصار الله للضعيف بمقدار عجز الضعيف عن نصرة نفسه، قال ﷺ (إني أُحرّج حق الضعيفين اليتيم والمرأة)، فتأملي جمال هذه السلوى وهذا العزاء والله مولاك.

- يقول المثل من راقب الناس مات همًّا، فلا تشغلي نفسك بغيرك بل بصيانة نفسك وإصلاحها وتطويرها لما فيه خير دينها ودنياها، ثم الاهتمام بمن هم تحت مسؤوليتك، فإن أكثر ما يضيع وقت الطالبة هو هذا الانشغال بما فعل الغير!

- لا تزال المرأة هي درة البيت ومحور سكينته وجماله، والبيت بدون هذه الروح المرهفة الحانية لهو بيت ناقص، وقد أدرك ذلك السلف الصالح، فتأملي معي لما ماتتْ امرأةُ أبي ربيعة الفقيه، دفنها ونفضَ يديه ثم رجع إلى داره، فحوقلَ واسترجعَ وبكى ثم قالَ يخاطبُ نفسه: الآن ماتتْ الدارُ أيضاً يا أبا خالد.

فقرّي في البيت وكوني روحه وبهجته في أسرتك مع أهلك أو مع زوجك، كوني القلب النابض الذي يشع حكمة وإيمانًا ومحبة وعطاء ومسابقة. فإن البناءَ يحيا بروح المرأة التي تحيا داخله! كما قال الرافعي.

وكما قال الشيخ عبدالعزيز الطريفي:"المرأة ليست نصف المجتمع، ولا الرجل نصف المجتمع، بل المجتمع رجل وامرأة".

فاسعي في مرضاة الله لإحراز السبق في سبيله وكوني المصلحة.

وفي الختام، القضية ليست قضية طالبة جامعية فحسب بل هي قضية أمة مسلمة تمثل فيها هذه الطالبة حجر أساس إن فسد فسدت أمة برمتها وإن صلح فما أجمل مستقبلها.

قد استرسلت في خط المعاني والجمل ولا أحسبني أوفيت الموضوع حقه كاملًا، لكنه غيض من فيض ومعالم تستحق الإطالة والتفصيل، فأنت اليوم الطالبة وغدًا المعلمة والمربية والزوجة والأم التي يعّول عليها المسلمون ويربطون آمالهم بصلاحها، فنسأل الله أن ينفع بك ويستعملك ويرضى عنك ويرضيك.

د. ليلى حمدان